حسناء طريف
أثاله بصمت

أتألم بصمت

اسم الكتاب: أتألم بصمت

اسم الكاتب: حسناء طريف

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-324-240627

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

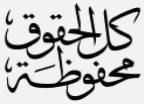

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

أتألم بصمت

رواية

حسناء طريف

كلمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إهداء هذه القصة إلى زهرة.

مقدمة المؤلف

أحداث وشخصيات هذه القصة تجمع بين الخيال والواقع وبعض التغيرات البسيطة، لنضيف إلى القراء روحًا جديدة في القصة، لاستشعار معانيها السردية والإحساس بنبضات أسطرها، فمع كل سطر هناك قصة وخيال سوف يأخذك بعيدًا.

أتمنى أن تنال هذه الراوية إعجاب القراء الأعزاء.

الجزء الأوّل

في مدينة كبيرة جنوب المغرب تستيقظ زهرة ذات الثامنة عشرة من عمرها كل صباح على صوت أمواج البحر الصاخبة القريب من بيتهم، فتقوم بفتح نافذة غرفتها لاستنشاق الهواء النقي، وشعرها الطويل والمموج وراء ظهرها النحيل يرقص على ريح الهواء الصباحية، فتفتح عينيها الخضراوين على أشعة الشمس الخفيفة لتجد أن جدتها أعدت لها وجبة الفطور.

تتناول زهرة وجبتها مع جدتها ككل صباح مع كثير من الحب المبارك من جدتها، فهي تحبها كثيرًا.. كيف لا وهي التي ربتها في غياب الأب الذي لم تتعرف إلى ملامح وجهه قط، وانشغال أمها من أجل توفير لقمة العيش.

الجدة: أسرعي يا ابنتي قبل التأخر عن الدراسة.

زهرة: لا تقلقي يا جدتي فلن أتأخر.

أنهت زهرة وجبتها وقبَّلت جدتها على رأسها، وانصرفت مسرعة حتى لا تتأخر عن المدرسة، فهذا عامها الأخير في المرحلة الثانوية.

شعرت زهرة وهي في طريقها إلى المدرسة بخطوات سريعة تتسارع مع خطواتها.. خفق قلبها الرقيق بشدة خوفًا وسألت نفسها: من هذا الشخص الذي يلاحقني؟ كثير من الأسئلة تغللت إلى ذهنها.

الشخص: أرجوكِ توقفي.. أريد أن أسألك.

التفتت زهرة في توتر من أمرها: ماذا تريد؟ مَن أنت؟

الشخص: لا تخافي.. فقط أريد أن أسألك أنا غريب عن هذه المنطقة.. هل يمكنك مساعدتي على إيجاد متجر هنا؟ فأنا تائه.

نظرت له زهرة وبدا خوفها يتلاشى نظرًا لمظهر الشخص الذي يوحي بالارتياح، فهو شخص أربعيني ذو مظهر جذاب، وفي شعره الأبيض علامات الوقار والاحترام.

ردت عليه زهرة وهي في ارتباك: آسفة.. لا أعرف، وانصرفت مسرعة.

دخلت زهرة إلى المدرسة وما زالت الرجفة تلاحقها وتفكيرها كله في هذا الشخص الغريب.. ضحكت مع نفسها.. في لحظة تخيلته كأنه أب يلاحق ابنته إلى المدرسة خوفًا عليها.. ضحكت على فكرتها البريئة ورجعت تركز في الدرس.

في سيارة من نوع فاخر يركب زياد في طريقه إلى المطار من أجل توصيل ابنه إيڤان وأمه الفرنسية ذات ملامح الوجه العابسة.

إيڤان (الحوار بالفرنسية): أبي، سوف أشتاق لك كثيرًا.. ليتك تغير رأيك وتعود معنا إلى فرنسا.

ابتسم زياد وهو يحاول طمأنة ابنه: لا تقلق يا بني.. سوف آتي إلى زيارتكم.. أنت تعلم كل عملي هنا في المغرب.

جيسكا طليقة زياد: كفى يا بني.. لا ترغمه.. فهذا كان سبب طلاقنا في الأصل.

صمت إيڤان، وما هي إلا لحظات حتى وصلوا إلى المطار.

عانق زياد ابنه بشدة وودع طليقته الفرنسية.. فرغم طلاقهما والنزاعات بينهما ما زالوا أصدقاء.

ركب زياد السيارة للعودة إلى منزله وهو يفكر في الحماقة التي ارتكبها صباح هذا اليوم.. كيف تجرأ أن يلاحق فتاة في سن ابنه؟! ما الذي دعاه حتى يلحق بها؟ هل جمالها اللافت الذي لفت انتباهه؟ أم صغر سنها أرجع روح الشباب إلى قلبه؟ أم الوحدة؟ ابتسم وهو يفكر فيها.. وفي طريقه إلى بيته قصد المرور جانب مدرستها لعله يرمقها.. وما هي إلا لحظات حتى ظهرت أمامه مرة أخرى وهي تحاول عبور الطريق في انتباه شديد من السيارات المارة.

أشار لها بيديه لكنها لم تنتبه، فقرر النزول من السيارة وحاول أن يوقفها في منتصف الطريق.

زياد: أرجوكِ توقفي.. يمكنني أن أوصلك إلى بيتك.

نظرت له زهرة وهي مستغربة: يا إلهي! أنت مرة أخرى.. ماذا تريد؟

حدق في عيونها وهو ينظر إلى ملامح وجهها الجدية التي توحي بماذا أزعجها وقال: لا تخافي.. أريد فقط أن أوصلك إلى بيتك.

نظرت إليه نظرة حادة وأكملت خطاها لعبور الطريق، ومع ارتباكها من زياد كادت أن تصدمها سيارة، فلحق زياد بها وأمسك بها مسرعًا وهو يلهث.

هل أنت بخير؟

ردت عليه زهرة وهي ترتعش من الخوف: نعم أنا بخير.

حدق مجددًا في عيونها وقال: هيا اركبي لكي أوصلك إلى البيت.

ركبت معه زهرة في السيارة وساد الصمت في المكان حتى أيقظ سهوتها بتشغيل الموسيقى لعله يحطم ذلك الصمت.

فنطق زياد مقدمًا نفسه لها:

مرحبًا أنا اسمي زياد، وأعيش منذ سنة في هذه المنطقة.

ردت عليه: أنا اسمي زهرة.

زياد: جيد اسم جميل.. أخبريني ماذا تدرسين؟ هل هذا عامك الأخير؟

ردت عليه مبتسمة: نعم.

زياد: هل أنت أدبية أم علمية؟

زهرة: أنا علمية.. أحب مادة الرياضيات، وأنا أدرس جيدًا.

زياد: هذا رائع.

شعرت زهرة باقترابهم من البيت، فالتفت نحوه وطلبت منه أن يوقف سيارته في القرب من الحي.

زهرة: شكرًا لك.. سوف أكتفي بالنزول هنا.

زياد: حسنًا لا مشكلة، أتمنى أن أراك مرة أخرى.. انتبهي إلى نفسك.

وبعد هذه الكلمات أخرج بطاقة مسجلًا عليها رقمه واسمه، وقال مبتسمًا: هذا رقمي إن احتجتِ إلى شيء في دراستك يمكنني مساعدتك إن كانت لغتك الفرنسية ضعيفة.

أمسكت زهرة بالورقة وهي في صمت والأفكار تملأ رأسها.. أشارت له بالإيجاب وانصرفت.

الجزء الثاني

دخلت زهرة البيت في صمت كعادتها، وقبَّلت جدتها الحنونة قُبلة الاشتياق تعبر لها فيها عن مدى حبها.

واكتفت بإلقاء التحية على أمها، فمن زمان وعلاقتهما غريبة جدًّا، لا تجمع بينهما علاقة أم وابنة، وكان هناك فجوة كبيرة بينهما، فزهرة لا تناقشها في أي موضوع أو تبادلها العناق، تكتفي فقط بالصمت، حتى إنها لم تسألها يومًا عن سبب ترك أبيها لهم، وأمها أيضًا نفس الشعور.. علاقة سطحية تجمعهما.

يستفزني كثيرًا هذا الشيء! كيف يمكن لبعض الأشخاص أن يجعلوا أطفالهم يدفعون ثمن أخطائهم.. لا يمكن بناء أسرة على وهم من الحب دون التفكير في أساسيات خلق أسرة هادفة في المجتمع من ناحية التفكير في الحالة النفسية للأب والأم والحالة الاجتماعية والحالة المادية.. لا يمكن إنجاب أطفال فقط لأن شهوة الإنسان قد تغلب عقله، لا بل يجب التفكير في الرابطة الأسرية والشروط من أجل خلق أطفال وأسرة متجانسة إن لم تكن هناك شروط لا يمكن خلق هذه الأسرة وإنجاب أطفال قد يدفعون ثمن أخطاء نشوة.

دخلت زهرة إلى غرفتها وأخذت تنظر إلى تلك البطاقة التي تحمل رقم زياد واسمه وهي تبتسم، راودها شعور غريب، فهي كانت

أكثر فتاة لا تحب العلاقات مع من هم في سنها أو سبق أن فكرت في مثل هذه الأمور، لماذا هو بالذات؟ لماذا أخذ كل تفكيرها؟ هل السبب خوفه عليها من أن تدعسها السيارة؟ أم لأنه أربعيني رأت في شعره الأبيض نظرة ترسمها لأب كان مجرد حيوان منوي في حياتها.

ترددت كثيرًا، وفي الأخير أرسلت له رسالة.

كان زياد مستلقيًا في غرفته وهو الآخَر أخذه التفكير فيها، وكلما تذكر ابتسامتها ضحك.. أيقظت رسالتها سهوته.. نظر إلى الرسالة.

ورد عليها بسرعة: أهلًا آنسة زهرة.. كيف حالك؟ أنا سعيد لأنك راسلتِني.. وأمسك هاتفه ينتظر ردها.

نظرت زهرة إلى الرسالة وارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهها، وضعت الهاتف جانبًا وأخذها التفكير بعيدًا، إلى أن أخذها النوم.

استيقظت زهرة كعادتها، لكن اليوم كان عطلة قررت أن تخرج صحبة جدتها إلى السوق لمساعدتها.

وفي السوق انتبهت الجدة إلى شرود حفيدتها.

الجدة: زهرة ابنتي ما لك شاردة؟

قالت زهرة: بارتباك لا شيء جدتي.. فقط تعبت.. متى سنعود إلى المنزل؟

ابتسمت الجدة وقالت: حسنًا.

علاقة زهرة وجدتها كانت علاقة أم وابنة.. لقد عوضت الجدة كل الحب والفراغ الذي تعيشه زهرة في حياتها، فهي من تولت تربيتها منذ نعومة أظفارها.

في حلول المساء أعدت الجدة الطعام ككل يوم ونادت على زهرة التي ما إن وصلت حتى قبَّلتها في جبينها وعانقتها بكل حب، وبادلتها الجدة العناق.. ما أجمل علاقة الجدة وحفيدتها في زمان تتخلى فيه الأم عن عاطفتها وعن دورها كأم! نعم هي تعمل من أجل توفير الاحتياجات الخاصة، لكن هذا لا يمنعها من تكوين علاقة صداقة مع ابنتها، وخاصة أن زهرة في مرحلة المراهقة.. فمن سوف يسدي إليها النصيحة؟ ولمن تشكو همها غير أمها؟ لكن للأسف تأتي الريح بما لا تشتهي السفن.

تناولت زهرة العشاء وذهبت إلى غرفتها.. أخذت ترمق هاتفها لعلها تجد رسالة.. كيف لا وهي كل اليوم تفكر في زياد.. لقد شغل بالها.

وجدت كثيرًا من الرسائل منه، فراحت وردت عليه مبتسمة: ماذا تفعل؟

كان زياد جالسًا كعادته في يده كتاب حتى وصلته رسالتها وضع كتابه جانبًا وأخذ يرمق الرسالة بفرح شديد، وبعد تفكير أرسل لها رسالة يطلب فيها موعدًا معها غدًا.

وما زال يفكر إن كان قراره صائبًا أم تسرع حتى وصله الرد بنعم.. فرح كثيرًا لكن شوق الرد المسرع أقلقه.. كيف وافقت بسرعة على موعد، فرغم أنه عاش حياته في دولة أجنبية إلا أنه رجل عربي ذو طابع شرقي.

نامت زهرة وفي قلبها اشتعلت نار الشوق لرؤيته مرة أخرى.. ما الذي أصابها؟ هل أخذ حبه كيانها بسرعة؟ هل هذا حب، أم إعجاب أم ماذا؟ نامت وهي تفكر.

في الصباح ذهبت زهرة إلى المدرسة لكنها لم تدخل الحصص القادمة من أجل لقائها مع زياد.

خرجت من المدرسة وهي في حيرة من أمرها.. كيف سيكون هذا اللقاء؟ إنه لقاؤها الأول مع رجل غريب.

أخذها التفكير بعيدًا حتى رمقته باتجاهها.

زياد: هيا اركبي!

ركبت زهرة معه وقالت: مرحبًا.. أين سنذهب؟

زياد: لا تقلقي سنذهب لتناول الطعام.. فأنتِ في موعد معي، لكن سوف نذهب إلى بيتي.

استغربت زهرة: ماذا!! بيتك!! لا مستحيل!!

زياد: لا تقلقي، فأنا رجل ناضج، وابني في مثل سنك، لا يمكنني أن أفعل شيئًا يقلل من قيمتي أمامك، فقط أريد أن أتعرف عليك ونتناول الطعام في هدوء.

وافقت زهرة بعد إلحاحه المستمر عليها، فمظهره الناضج جعله موضع ثقة بالنسبة لها.

وما هي إلا لحظات حتى وصلوا إلى بيته الذي كان مفروشًا بطريقة أوروبية. وفي مقدمة البيت منظر للبحر أعطى انطباعًا جميلًا وشعورًا بالاسترخاء.

زياد: هل أعجبك البيت؟

نظرت له زهرة بابتسامة وقالت: نعم بيتك جميل.

ابتسم لها زياد وقال: يومًا ما سيصبح بيتك أيضًا حين نتزوج.

استشعر زياد خجلها ولطَّف الجو: ما رأيك أن أعزف لك؟

ابتسمت له: هل أنت عازف؟

رد زياد: نعم، أنا أعشق آلة الجيتار.

أخذ آلته بعد أن جلست زهرة أمامه وأخذ يعزف، وما هي إلا لحظات حتى ساد الصمت في المكان لا تسمع إلا أصوات الموسيقى الهادئة، ومع كل عزفةٍ كانت دقات قلبها تتسارع وكأنه يعزف نبضات قلبها المجروح.. بدأت أرواحهم تتجانس وتنغمس في هيام قاتل ونظرات عينوهم يملأها الإعجاب والشوق إلى حضن دافئ.. أمسك زياد يديها وأخذ قبلة منهما وكأنه يحاول أن يعطيها

إحساسًا بالأمان، وبعدها سحب جسمها النحيل بالقرب منه.. نظر مرة أخرى إلى عيونها وخطف قبلة من شفتيها.. وما إن أحست حتى ابتعدت في خوف ورجفة.

لمس شعرها الطويل وهمس بالقرب من أذنيها:

لا تخافي، لن أفعل شيئًا رغمًا عنك.

حضنه الدافئ أنقذ تصرفه المتهور.. بادلته العناق وفي عينها دمعة.. نظرت إليه نظرة شوق وخوف.. نظرة فتاة تبحث عن أبيها في رجل وجدته أول مرة وقالت: أرجوك أنا عذراء.

رد عليها زياد: لا تخافي، لن أجبرك على شيء، وسوف أحافظ عليك، سوف تبقين عذراء.

كلامه أعاد روح الطمأنينة إلى قلبها.

انتبه زياد إلى ارتباكها فأنقذ الموقف بكلمة: ألست جائعة.

نظرت له زهرة وقالت: نعم قليلًا.

ابتسم زياد وأخذها إلى المطبخ.. سحب كرسي الطاولة وأجلسها وأخذ يعد الطعام أمامها.

وهي تنظر في حيرة وتقول في نفسها ليته كان أبي! ما أجمل شعور أن يعد الأب لابنته الطعام.

وضع زياد الأطباق فوق المائدة ووضع لها بعض الكولا.

جلسا يتناولان الطعام.

وقال لها: لم تعرفيني على نفسك كثيرًا! هل تعيشين مع أبويك؟

ردت عليه زهرة: لا، أعيش مع أمي وجدتي، فأمي امرأة مطلقة.

تأسف زياد على قصتها وقال: أنا أيضًا مطلق، لقد تزوجت من فرنسية وعندي ابن، لكن نظرًا لظروف عملي تطلقنا، فأنا أريد البقاء في المغرب وهي لم تقبل، وكان هذا سبب الطلاق.

فقالت زهرة بنبرة صوت حزينة: حسنًا لكن هل ترى ابنك.

فقال زياد مبتسمًا: طبعًا أراه وأكلم أمه دائمًا، فنحن أصدقاء، وأنا تعرفت عليها منذ مرحلة الشباب حين كنت أدرس في مدرسة كاثوليكية.

استغربت زهرة وقالت: كيف ذلك؟ ألست مسلمًا؟

فقال زياد: لا.

استغربت زهرة وقالت: حسنًا.. إذًا أنت مسيحي.

وهنا أدهشها زياد برده: لا أنا لست مسلمًا ولا مسيحيًّا.. أنا لا أومن بأي ديانة.

ظهرت الدهشة على ملامحها وقالت بدون أن تشعر بصوت يرتجف: هل أنت ملحد؟

ضحك زياد وقال: نعم.

ولكنه انتبه إلى ارتباكها وخوفها.

فردت عليه: حسنًا يجب أن أذهب، سوف أتأخر عن البيت.

تفهم زياد قلقها وأخذها إلى بيتها.. بعد أن أوصلها رجع إلى بيته.

دخلت زهرة غرفتها وهي مندهشة، فكلماته الصادمة ما زالت تجول بخاطرها، وفكرت من تلك اللحظة أن تقطع اتصالها

معه، فلا يمكنها الزواج من رجل ملحد، هذا مستحيل، عقلها الصغير لم يتحمل، لم تتمكن من الصمت فأرسلت له رسالة تخبره فيها أنها لا يمكنها الاستمرار معه.. نعم هي لا تنكر إعجابها الشديد به، لكن لا يوجد مستقبل في علاقتهما معًا، فهو ملحد وهي مسلمة.. لا يمكن.

أرسلت الرسالة وحظرت رقمه ونامت.

في حين زياد كان يشتغل في حاسوبه فهو مهندس ديكور.

أنهى العمل وقبل أن يخلد إلى النوم تفقد هاتفه كعادته فوجد رسالتها.. استغرب ردة فعلها، لكنه لم يعطِ للأمر أهمية، فالتعب في تلك اللحظة أنساه الرسالة، ووضع هاتفه فوق الطاولة وخلد للنوم.

استيقظت زهرة على كابوس أفزع قلبها، وضعت يدها فوق قلبها وهي ترتجف.

رأت زهرة في الحلم أنها في مكان غريب، وكانت تسبح في بحر أسود، أمواجه صاخبة، وفي لحظة شعرت أنها تغرق وانقطع نفسها

جدًّا، وما زاد روعها وخوفها هو تفسيرها للحلم، وكأن الحلم رسالة تحذير لها من أجل أن تتوقف، فهي تسلك طريقًا سوف يدمرها.

أخذت زهرة كأس ماء تروي عطشها وخوفها، وذهبت إلى غرفة جدتها وأكملت نومها بقربها.. شعرت الجدة بوجود حفيدتها وعانقتها ونامت.

وفي صباح اليوم التالي ذهبت زهرة إلى المدرسة وهي متأكدة من قرار انفصالها عن زياد الذي لم تفهم ما نوع علاقتهما، فهي بالكاد تعرفه، فقط تشعر أنها لا تستطيع أن توقف التفكير فيه مهما فعلت، وفي الواقع نست زهرة حلمها الغريب بسرعة، بل ولم تستطع أن تتوقف عن التفكير في زياد.

مرت أيام قليلة وألغت الحظر، وأرسلت له رسالة وهي تقول في نفسها: لا أستطيع.. أنا أحبه.. وسوف أغيره مع الوقت.

رد زياد على رسالتها بلوم شديد وهو يعاتبها، فقد اشتاق لها كثيرًا، واتفق الاثنان على موعد قريب.. وافقت زهرة بسرعة، فهي ضعيفة أمامه، لقد وجدت رجلًا ترى فيه كل شيء.. أبًا وحبيبًا لا

يمكنها تركه أبدًا.. فمن غيره يسأل عنها ويهتم بها ويعاتبها إن أخطأت.

في اليوم التالي ذهبت زهرة إلى بيت زياد، وما إن فتح الباب حتى عانقها بعناق حار يطفئ به نار شوقه لها.

نظر إلى وجهها وقال وهو ينظر إلى عينها: أحبك.. أحبك كثيرًا.

رمقته زهرة بنظرة حزينة: ولكن أنا خائفة عليك، يجب أن تسلم، فالدين عند الله هو الإسلام، لا يمكننا الزواج إن لم تسلم.

رد عليها زياد: حسنًا.. إن شاء الله.

كلمة الله في فمه جعلت الطمأنينة ترجع إلى قلبها.

وهمست بالقرب من أذنه: هل حقًّا تفكر في الزواج بي؟

فقال زياد: نعم، لمَ لا؟ بعد وقت من التعارف فقط يمكننا الزواج.

ابتسمت زهرة وقالت: حسنًا.. أتمنى ذلك.. أنا أثق بك.

أمسك زياد شعرها الطويل وهو يداعب خصلاته المموجة كالبحر وأخذ يشم عطرها وقال لها: ما أجمل شعرك وعطرك.

ابتسمت زهرة وردت عليه: شكرًا لك.

وقالت وهي متوترة من قرب المسافة بينهما: يجب أن أذهب الآن.. لا أريد أن تقلق جدتي.

فقال زياد: حسنًا سوف أوصلك إلى بيتك..

وما هي إلا لحظات حتى أوصلها، وقبل أن تنزل من سيارته مسك يدها وقبلها.

شعرت زهرة برجفة في جسدها وقلبها ينبض بسرعة، وأسرعت إلى البيت قبل أن يشعر بخجلها الشديد.

ضحك زياد على منظرها الطفولي، وانصرف زياد.. كان رجلًا ناضجًا، وكان يعرف أن زهرة فتاة خجولة، وكان يعرف أيضًا أن لها نقطة ضعف تجاهه، فهو كان مثل شخص تعوض به نقص أبيها وكأنه مصدر أمان وحب فقدته في حياتها أو لم تعشه أبدًا.

دخلت زهرة غرفتها وأغلقت الباب وكأنها تحاول إخفاء شيء وهي تفكر كثيرًا: هل عودتها إلى زياد كانت صائبة، وخاصة أنها تتذكر ذلك الحلم الغريب، لكن حبها له أعماها وجعلها تتبع هواها بدون أي تفكير.. مرت الشهور وما زالت العلاقة بينهما.

تسريع الأحداث...

وكان اليوم هو نهاية السنة والدخول في سنة جديدة، وقد قررت زهرة أن تشارك هذه الليلة مع حبيبها زياد لاستقبال عام جديد، ولم تجد سوى حجة أنها سوف تنام هذه الليلة عند صديقتها المقربة.. أخبرت جدتها بذلك، ولأن جدتها تحبها كثيرًا صدقتها ووافقت على طلبها.. تزينت زهرة وصففت شعرها الطويل وذهبت إلى بيته، فهو لم يأتِ ليُقِلَّها.. لقد كان مشغولًا بتحضير كعك حفلة رأس السنة.. وما هي إلا لحظات حتى طرقت زهرة باب بيته.. فتح الباب ودقيق الكعك كان يلطخ قميصه.. ضحكت زهرة على مظهره.. لحق بها وأخذ قطعة الشكولاتة ووضعها على أنفها وهو يضحك.. مدت زهرة شفتيها في مظهر طفولي وكأنها حزينة.. ابتسم زياد وقبَّلها على رأسها وهو يقول لها: لا تقلقي آنستي.. فهو دائمًا كان يناديها بهذا اللقب.. عانقها وأخذها إلى مائدة أقل ما يُقال عنها أنها في قمة الرقي

والرومانسية.. بين كل صحن طعام شمعة حمراء.. أبهجت قلبها ودهشته.

وقال لها: اجلسي عزيزتي سوف أغير ملابسي وآتي.. جلست زهرة وهي سعيدة وخائفة في نفس الوقت، فهذه الليلة الأولى التي لا تنام فيها في بيتها بالقرب من جدتها.. في لحظة لمسها تأنيب الضمير، فكيف لا يلمس روحها وهي كذبت على أعز إنسانة لها، لكنها تناست خوفها فهي في ضيافة رجل ناضج لا يمكن أن يؤذيها، بل وعدها أنها سوف تكون زوجته، وأنه لن يلمسها.. فمنذ المرة الأولى وعدها أن يصون شرفها..

اختفى خوفها رويدًا رويدًا حتى أفاقها صوت مجيء زياد من سهوتها.. حدق في عيونها وقال: حبيبتي هيَّا فلنتناول العشاء، لكن اليوم رأس السنة يجب أن نتناول بعض الشراب الأحمر أيضًا.. ردت عليه زهرة: أنا لم أشرب الخمر أبدًا.. أمسك زياد يدها وقال لها: لا تخافي، إنه مجرد كأس لن يفعل لك شيئًا.

أمسكت زهرة الكأس ولمس كأسها على الطريقة الأجنبية وهو يردد في مسامعها: نخبك حبيبتي.. ردت عليه: نخبك.

بعد تناول العشاء الرومانسي وضع لها موسيقى رومانسية وأخذ يرقص معها.. ابتسمت زهرة وهي تتمايل بخصرها النحيف على نغمات الموسيقى الكلاسيكية، وفي لحظة شعرت بثقل في رأسها وكأنها على وشك أن تفقد وعيها، وكانت تتمايل بصعوبة.. أمسك زياد يديها وقال: يبدو أنك ثملت، تعالي إلى غرفتي نامي قليلًا وارتاحي.. أخذها إلى غرفته وهي تتمايل على نغمات أصابعه وكأنها أوتار باتت تعزف لحن بداية قصة حزينة..

أمسك خصرها النحيل ووضعها فوق السرير، وفي لحظة نظر إلى وجهها ونار الشهوة تتمكن منه.. في لحظة أصبحت زهرة هي كعك حفل رأس السنة، كيف لا وهو تناولها كفاكهة طازجة.. نعم لقد اغتصبها وهي فاقدة وعيها.. نعم لقد تمكن ذلك الشيطان أخيرًا من وضعها في الجحيم.. لقد كان الجلاد الذي قتل براءتها في ثانية.

استيقظت زهرة لتجد عفتها وشرفها تحول إلى قطرة دماء حمراء تلطخ ثوبًا أبيض، وكأنه كفن أخذ روحها.. والدموع تملأ عينيها وهي تردد في فمها:

زياد! ماذا فعلت! ماذا فعلت بي؟!

جلس زياد أمامها وقال: لقد كنت موافقة على ذلك! ما الأمر؟!

فقالت: أنا كنت ثملة.. لقد حذرتك.. لكنك لم تسمعني.. كيف يمكنك فعل هذا بي؟

أمسك زياد وجهها وهو ينظر إلى الدموع في مقلتيها وقال:

لا تخافي لم يحصل شيء.. أنت الآن حرة.

ردت عليه: ماذا؟! لقد دمرتني!

أمسك يديها وهمس بالقرب من أذنيها: لن أتركك أبدًا.. أنا لن أفعل هذا.

نظرت له زهرة نظرة عتاب وخوف وقالت: حقًّا! هل سوف نتزوج؟

رد عليها: نعم، لن أتركك أبدًا.

أراح كلامه قلبها قليلًا ودخلت إلى الحمام وهي تحاول تصديق كلامه في حالة يأس وخوف من المجهول.

أخـذها زياد إلى بيتهـا بعـد نقـاش طويـل معهـا حـاول فيـه تهدئتها.

وصلت زهرة إلى منزلها، وقبل أن تغادر التفتت له وحدقت في عيونـه وقالـت: لقـد وعـدتني أنـك لـن تتركـني.. أتمـنى أن تـوفي بوعدك وترحم قلبي الذي صدقك.

ورحلـت وكأنهـا جسـد بـلا روح وهـي تقـول في نفسـها: لقـد فقدت نفسي.. يا إلهي أنا تائهة بين أزقة الماضي والحاضر.. يا إلهي أنا الآن ضعيفة أمام قـدري.. أنا غبيـة.. مـاذا أفعـل الآن؟ أنا الآن تحت رحمة جلادي الذي حرمني أجمل لحظات حياتي! كيف لي أن أفقد جزءًا مني، بل جزء من كرامتي.. ماذا أفعل الآن؟

ومـع مـرور الأيام أصبحت زهـرة كـل يـوم تصـر علـى زياد أن يأتي لطلبها للزواج، ولكـن هيهـات ثم هيهـات، فقـط أصبح يتهـرب منها بحجة العمل.

دخلـت زهـرة إلى غرفتهـا. لكنهـا هـذه المـرة لم تفـتح نوافـذ غرفتها ككل مرة، بل اكتفت بالجلوس على الأرض وهي تنظر إلى النافذة والدموع تتساقط كالأنهار من مقلتيها، وتقول في نفسها:

بعد أن أخذ مني ما يريد لم يعد يرد على اتصالي إلا بعد عدة أيام، نعم لقد كنت غبية، لقد سقطت في جحر الذئب.. هل أقدم نفسي هدية إلى البحر؟ هل أموت لعل الرمس يشفي جرحي؟ يا إلهي ساعدني، فأنا أتألم.. أتألم في صمت قاتل.. أتألم ولا أحد يسمع آهاتي الحزينة.. يا إلهي أنا تائهة بين جدران هذه الغرفة.. لماذا أنا؟ لماذا؟ ما ذنبي سوى أني رأيت فيه أبًا لم أعرفه يومًا.. لقد خذلني وأنا في أول الطريق.. لقد تركني في المنتصف أعاني وحيدة.. لا يجب أن أتحدث إليه.

بعد حوار طويل مع نفسها.

قررت زهرة أن تذهب إلى بيته بعد أن سار الاتصال بينهم شبه منقطع.. ذهبت وفي لحظة رمقته ومعه امرأة أخرى.. ذهبت زهرة في اتجاه زياد وهي غاضبة أشد الغضب.. فبعد أن أخذ من شرفها خانها أيضًا.

انتبه زياد إلى مجيئها بعد أن كان على وشك الانصراف وقف أمامها وأدرك مدى الأذى الذي ألحقه بها من الهالات التي اتخذت من عيونها بيتًا باتت تسكن فيه، وشعرها الذي أصبحت أطرافه تتساقط كأوراق حزينة في موسم الخريف.

أمسك يدها بلطف وهو يمشي أمامها كجلاد يأخذ ضحيته إلى الإعدام.. أخذها بجانب سيارته وقال لها: لقد أصبحت تصرفاتك تزعجني كل مرة يجب أن تنتبهي.

رمقته بنظرة عتاب وقالت: أخبرني من هي؟ هل هذه ضحيتك الجديدة؟

أخذ نفسًا عميقًا وقال: هذه مجرد صديقة عمل.

تمالكت زهرة نفسها أمامه وانهمرت دموعها على خدها وقالت: حسنًا.. متى سوف نلتقي؟ يجب أن تتزوجني.. رد عليها زياد: نعم، لكن ليس الآن.

نظرت له وقالت: لماذا؟

فقال لها: عندي عمل كثير، صدقيني سوف أتزوجك.. انظري!

أخذ هاتفه ووضعه أمامها: انظري، هذا عقد طلاقي الفرنسي، لقد سألت محاميًا عن كيفية الزواج.. سوف أترجم هذا العقد إلى العربية، وسوف أبدأ إجراءات الزواج.

نظرت له زهرة نظرة تَرَجٍّ وفي قلبها بصيص أمل: حقًّا أنت تعدني بذلك؟

رد عليها وهو مبتسم: أعدك عزيزتي.. الآن سوف أوصلك إلى البيت.. أذهبي ونامي جيدًا.

ذهبت زهرة وهي في حيرة من أمرها.. لقد دمر حياتها وحتى دراستها لم تعد تذهب إلى المدرسة.. لقد أصبح هذا المشكل عائقًا في حياتها.

بعد مرور الأيام رن هاتف زهرة وكان زياد هو المتصل.

ردت عليه بصوت حزين: ماذا؟ الآن تذكرتني!؟

أجابها زياد: أريد أن أراكِ الآن.. أحتاج إلى التحدث معك.. الأمر مهم.

وافقت زهرة وذهبت وهي كلها آمل في أن يحن قلبه عليها ويصلح الخطأ قبل فوات الأوان.

التقت معه وركبت في سيارته كالعادة.. نظر إلى وجهها الشاحب وقال لها بدون أن يرأف بها أو يرحم مشاعرها:

لـن أطيـل عليـكِ الكـلام.. يجـب أن تـذهبي الآن.. علاقتنـا انتهت.

نظرت إليه مستغربة: ماذا؟ كيف ذلك؟

هل تعي ما تقوله؟ لقد وثقت بك! لقد وعدتني!

نظرت إليه مرة أخرى مندهشة وهي تقول في نفسها: كيف تغير؟! وكأنه ليس زياد الذي عرفته!! تغير في رمشة عين.

رمقهـا بنظـرة قاسـية وفـتح باب سـيارته وقـال اذهـبي.. لا مشكلة.. يمكنك إيجاد شخص آخر.. في النهاية أنتِ عاهرة.

اندهشت زهرة من كلامه القاسي، كيف يخبرها بذلك وهو كان سببًا في تدميرها.. لقد دمر حياة شابة في عمر الزهور ذنبها الوحيد أنها تبحث عن حب وعطف الأب في رجل أربعيني.

نزلت زهرة من السيارة بعد أن أطلق عليها رصاصة الموت بكلامه القاسي.. وما إن نزلت حتى انطلق مسرعًا بسيارته... نعم تركها.. تركها والدموع تقف في مقلتيها من آثار الصدمة.. لمن تشكو همها.. فالقانون لا يحمي المغفلين!!

آه يا قلبي!! كيف تعثرت أحلامك وضعت بين الهوى؟!

أين أجدك يا نفسي بعد أن تهت بين الناس.. أين أجدك؟

أخبرني يا قلبي لماذا وكيف قدمتك لجلاد تسلل إليك في أول وهلة خطف مني نظرة وضمك إليه فشعرت بأمان فسقطت في الهوى؟ وها أنا الآن ضيعتك وضيعت نفسي وشبابي في لحظة.. آه لو يعود الزمان أدراجه إلى الوراء لما خفق قلبي من أول مرة وكمل خطاه! ليتني لم ألتفت! ليت عيوني لم ترَ النور ذلك الصباح المشؤوم! ليتني لم أصدق كلامك الكاذب! ليتني لم أضعف أمام شعرك الأبيض!

غادرت زهرة وهي شاردة تفكر وتقول في نفسها: ماذا سوف أفعل؟ كيف سوف أتصرف؟

كانت الصدمة قوية لم تتحمل قسوته عليها.. لقد دمرها.. ظلت شاردة.. وفي لحظة لم تنتبه إلى الطريق حتى صدمتها سيارة.. وللأسف ماتت زهرة وانتهت قصتها.. نعم ماتت لكنها ذهبت عند مَن هو أرحم بها.. لقد بدأت قصتها بخطأ وانتهت بصدمة.

في المستشفى فتحت زهرة عينها ووجدت جدتها قربها وأمها والممرضة تنظر لها مبتسمة.

نظرت زهرة وهي تتلعثم في الكلام ماذا حصل؟ أين أنا؟

ابتسمت الممرضة وأخبرتها: لا تقلقي فأنت كنتِ في غيبوبة؟

اندهشت زهرة: ماذا! غيبوبة!

جاءت الطبيبة وقالت: نعم يا بنتي، لقد صدمتك سيارة أثناء ذهابك في رحلة مدرسية.

استغربت زهرة وقالت: ماذا؟ إذًا أنا كنت أحلم.. إذًا أنا لم أعرف شخصًا اسمه زياد.

ابتسمت الطبيبة وقالت: مَن زياد؟ لقد كنت في غيبوبة دامت أسبوعًا.

نظرت لها زهرة: إذًا أنا عذراء! أليس كذلك؟

ابتسمت الطبيبة وقالت: نعم يا بنتي، يبدو أنك شهدتِ كابوسًا مزعجًا أثناء الغيبوبة.

فرحت زهرة وقالت في نفسها: هذا كان مجرد كابوس مزعج.. وعانقت جدتها وأمها وهي تشكر الله أن هذا مجرد حلم.. أنا ما زلت..! أنا لم أفقد نفسي!

ووعدت نفسها أنها بعد أن تخرج من المستشفى سوف تعرف لماذا أمها لم تتركها لتتعرف إلى أبيها؟ يجب أن تتعرف إليه، وحتى إن لم تتعرف وعدت نفسها بعد هذا الكابوس أنها لن تسقط في جحر الذئاب.

للأسف هناك كثير من الفتيات في وضعية زهرة يبحثن عن الأمان وحب الأب وعطفه في رجال قد يدمرون حياتهن.

إلى كل أم وأب.. إن لم تكونوا قادرين على إعطاء الحب والحنان إلى أبنائكم فلا تفكروا في الزواج.

أتمنى ألا تدمروا حياة أطفالكم بسبب نزوة عابرة.

انتهى.. بقلم: حسناء طريف

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكتروني
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

الإهداء..... 6
مقدمة المؤلف 7
الجزء الأوّل..... 8
الجزء الثاني..... 16
تسريع الأحداث... 31

أتألم بصمت

حسناء طريف

عندما تقع حواء في عشق الشيطان فتصدق شعره الأبيض لتسقط في جحيمه، أحيانا التعلق المريض بالأشخاص (لأسباب نفسية و فراغ عاطفي) قد يجعلنا ندفع الثمن لنستيقظ على كابوس لعين لا ينتهي.

أتألم بصمت

دار البسمة للنشر والتوزيع
bassmabook
00212771814934
darbassma1@gmail.com